بمناسبة الذكرى المئوية لميلاده

مكسيم غوركي

بقلم ب. ميخايلوفسكي

كاتب روسي عظيم (*) ومؤسس أدب الواقعية الاشتراكية . كان فنانا رائعا للكلمة وفي الوقت نفسه باحثا في نظرية الادب وكاتبا سياسيا ومفكرا أسهم في تطوير علم الجمال الماركسي ـ اللينيني وعلم الاخلاق وفلسفة الثقافة . يمتاز ابداعه الفني بتشبع فلسفي عظيم . ان بعض مؤلفاته مكرسة لقضايا فلسفية (قصائد « الفتاة والموت » ١٨٩٢ ، طبعة ١٩١٧ ، و « الانسان » ١٩٠٤ ، والقصة القصيرة « القارىء » ١٨٩٨) ، وغيرها . ويشكل تصوير النضال الايديولوجي للعصر والمساجلات الفلسفية وجهات النظر المختلفة الى الكون أحد الجوانب الجوهرية في رواية « حياة كليم سامغين » (١٩٢٧ ـ ١٩٣٦) . وفي مقالاته وكذلك في رسائله تتمازج عضويا المسائل الادبية ـ التاريخية والسياسية والاخلاقية ـ الاجتماعية والاستاطيقية والفلسفية . تعرف في سنوات الشباب على مؤلفات الديمقراطيين الثوريين الروس (تشيرنيشفسكي (٢) ودوبرولوبوف (٣) وبيساريف) (٤) والشعبيين (لافروف (٥) وميخايلوفسكي) (٦) . ولهذا الوقت يعود أول اطلاع له على المؤلفات العلمية الماركسية (ماركس ، انجلز ، بليخانوف) . واذ وقف من «الشعبية» و « الماركسية الشرعية » (ستروفيه وغيره) ناقدا الا انه لم يستقر في الحال في مواقع الاشتراكية العلمية . وقد حدث هذا في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين في فترة تطور الحركة الثورية في روسيا ، عندما تقرب الى الحزب الديمقراطي ـ الاشتراكي وتضامن مع اتجاه « ايسكرا » اللينينية .

وفي التسعينات كانت في مجال نظره الفلسفة الاغريقية والفلسفة الكلاسيكية الالمانية في القرن التاسع عشر وفلسفة التنوير الفرنسية واتجاهات الفكر البورجوازي المعاصرة . وقد شن تارة بواسطة « الحوار الفني » وأخرى في المقالات والرسائل نضالا ضد نيتشه ـ بشير الفلسفة الامبريالية ـ وهاجم ماغدا موضه : « انجيل الفردية » لشيترنر و « التشاؤم الكوني » لشوبنهاور وهارتمن و«التشاؤم التاريخي»لشبنغلر واتباعه ولاعقلانيه البراجماتيين ، وبرجسون وليبون وغيرهم . واذ أكد الامكانيات غير المحدودة للعقل البشري ، هب ضد مظاهر اللادرية والشك والمثالية الذاتية . وبمثل هذا النشاط انطلق منذ مطلع القرن العشرين ضد الباحثين الرجعيين عن الله (٧) (ميرجكوفسكي وبردياف وروزانوف وغيرهم) ، الذين حاولوا بعث المثالية الدينية والصوفية .

وفضلا عن ذلك كانت في تطور غوركي فترات ، عندما انحرف عن هذه المواقع الاساسية . فبعد فشل الثورة، تقرب في١٩٠٧ ـ ١٩٠٩ الى مجموعة بوغدانوف(٨) وجرب بعض تأثير « مذهبه التجريبي الوحداني » ، الامر الذي أثر ، على سبيل المثال ، على بعض الصيغ النظرية والتقديرات لبعض الكتاب في سلسلة المحاضرات عن الادب الروسي التي قرأها في « مدرسة كابريه » . وفي هذه السنين كان ولعه بما يسمى بناء الاله (٩) ، الذي طبع بصمته على « الاعتراف » (١٩٠٨) ، خطأه الجدي. فعبادة « الانسان » ترتدي هنا صبغة دينية ، والشعب يغدو « اله » دين جديد وفي الوقت ذاته « بانيا للاله » . ان النقد الشديد ، الذي عرض لينين « بناء الاله » له كدين « مجدد » أنيق معاد لقضية البروليتاريا ، ساعد في تذليل هذه الاضاليل . وقد انعكست الاخطاء السياسية الكبيرة التي ارتكبت في ١٩١٧ ـ ١٩١٨ على أحكامه الفلسفية التي تضمنتها في هذه الفترة بعض المقالات والرسائل . ان نصائح لينين والتطور اللاحق ذاته للثورة ساعد غوركي على الانخراط ، بنشاط ، في بناء الثقافة الاشتراكية وتصفية الاخطاء وفي أن يغدو بانيا ومغنيا للنظام السوفياتي والثقافة الاشتراكية .

وجدت نظراته الاستاطيقية التي تكونت خلال عقود من السنين أتم تعبير لها عندما هب غوركي ، النظري بصورة مباشرة ، كمرب حكيم للكتاب السوفياتيين . ومنذ أمد بعيد أكد فكرة شعبية الفن التقدمي (من مقالة «تدمير الشخصية» (١٩٠٩) حتى التقرير في المؤتمر الاول للكتاب السوفياتيين عام ١٩٣٤ ومقالات الثلاثينات) ، والدلالة العظمى للعمل في تطوير الشعور الاستاطيقي والابداع الفني ودور الفولكلور المثمر . وقد رأى خصوصية وقوة الادب الروسي المنفردة الذي اعتبره أكثر أدب ديمقراطي ومحب للحرية في شعبيته العميقة . وقد دعا الكتاب السوفياتيين أن يحملوا فنهم لخدمة الشعب بوعي وبلا انحراف ويشربوه بالافكار التقدمية للعصر ويخلقوا أدبا متشعبا بالعقائدية البلشفية ومتصلا بلا انقطاع بالنضال البطولي للشعب من أجل الاشتراكية .

وفي تأملاته في الواقعية الاشتراكية اكد غوركي على الطابع المؤثر للفن السوفياتي على وجه الخصوص ، والحماسة التي يتصف بها لتغيير الحياة والانطلاق نحو المستقبل وحماس تحرير العمل الذي يحصل في المجتمع الاشتراكي على طبيعته الخلاقة ويفضي الى ازدهار الثقافة . ورأى المهمة الرئيسية للكاتب السوفياتي في تصوير الانسان الجديد الذي هو في طور التكوين . واذ دافع عن الدلالة العظمى لثروة الماضي الفنية بالنسبة للواقعيه الاشتراكية ، سعى غوركي في الوقت نفسه للكشف عن التجديد واختلاف الواقعية الاشتراكية عن واقعية الماضي . وقد اعتبر الواقعية النقدية بالذات الاتجاه الرئيسي في أدب نهاية القرن الثامن عشر ، مطلع القرن العشرين .

وعلاوة على ذلك أكد بحماس قيمة الرومانسية « النشيطة » التي يعارض بها الرومانسية « السلبية » ، وانبرى للدفاع عن شرعية البداية الرومانسية ـ البطولية في فن الواقعية الاشتراكية .

قام بتطوير أسس علم الجمال الواقعي في النضال ضد انحطاط الفن والطبيعة . واذ نظر الى الابداع الفني كما لو انه « ادارة الانسان » فقد انطلق على الدوام ضد علامتي الفن المنحط : « تشتت » الانسان ومعاداة الانسانية . وأكد غوركي على الصلة التي لا تنفصم بين الاستاطيق وعلم الاخلاق . ان النقد الشامل للفردية ونزع مجد المذهب الانساني « السلبي » الخيري ـ الليبرالي والانسانية غير الحقيقية للمسيحية ـ هي المسائل الاخلاقية الاساسية التي حسمها الكاتب . لقد طور غوركي أفكار المذهب الانساني الثوري النشيط والنضال في سبيل تحرير الانسانية من قيود أي استغلال ومن أجل بناء المجتمع الشيوعي .

ان موضوعاته المتعلقة بميدان فلسفة الثقافة تعتبر عميقة وتستحق التقدير . فقد رفض التوكيدات الافترائية للفلاسفة البورجوازيين الرجعيين (رينان ونيتشه والمشتركين فيمؤلف « المراحل » (١٠) وغيرهم) عن عداء الجماهير الشعبية الوهمي للثقافة . وكشف في مؤلفاته كلها عن دور الجماهير الشعبية العظيم في ابداع الثقافة وخلق صور عظيمة غدت مصدرا لمؤلفات الفن الخالدة . واذ نقد النظرات السوسيولوجية المبتذلة ، برهن على ان دور البرجوازية في خلق قيم روحية مبالغ فيه بصورة ليست نادرة وان الراسمالية عدوة ، حقا ، للابداع الثقافي وان من غير الممكن في انقطاع عن الشعب خلق ثقافة أصيلة لها دلالة انسانية عامة وغير عابرة وان الثروات الروحية للشعب ـ الخالق قادرة على التفتح بصورة اكمل في ظروف المجتمع الاشتراكي .

موسكو **ترجمة أحمد ماضي**

---

* الموسوعة الفلسفيةالسوفياتية ، المجلد الاول (بالروسية) .

(١) كاتب روسي شهير ، له مؤلفات ومقالات عديدة . يعتبر أحد كبار المختصين في غوركي وثروته الفكرية . أشهر أعماله : غوركي وفلسفة الثقافة . (المترجم) .

(٢) مفكر وناقد أدبي واشتراكي روسي (١٨٢٨ ـ ١٨٨٩) . تعرض للاعتقال والنفي . ربى جيلا كاملا من الثوريين الروس . تكونت ايديولوجيته تحت تأثير غيرتسين وبيلينسكي والفلسفة الكلاسيكية الالمانية وبصورة خاصة فيورباخ . كرس جهوده الفكرية والعملية من أجل تحرير « الناس البسطاء » والشغيلة الكادحة من عبودية البرجوازية والاقطاع . أشهر مؤلفاته : « علاقة الفن الجمالية بالواقع » و « ما العمل ؟ » و « دراسات في المرحلة الفوغولية من الادب الروسي » و « المبدأ الانثروبولوجي في الفلسفة » و « طابع المعرفة البشرية » . (المترجم)

(٣) مفكر وناقد أدبي وكاتبسياسي روسي (١٨٣٦ ـ ١٨٦١) . حرر في مجلة « المعاصر » ، التي كان يكتب ويحرر فيها تشيرينشفسكي، باب النقد والبيليوغرافية . كتب خلال خمس سنوات مقالات كثيرة في مسائل علم التربية والاستاطيق والفلسفه . أشهر مقالاته « حول دلالة النفوذ في التربية » و « التطور العضوي للانسان في صلة بنشاطه الذهني والخلقي » و « ما هو الخمول ؟ » . (المترجم) .

(٤) ناقد أدبي وكاتبسياسي ومفكر روسي (١٨٤٠ ـ ١٨٦٨) . بدأ نشاطه الادبي في سنة ١٨٥٩ . عمل في مجلات كثيرة . مكث في الاعتقال خمس سنوات لدفاعه عن المفكر الروسي غيرتسين . رأى الهدف الاساسي في حل مسألة « الناس الجوعى » فانبرى للدفاع عن المثل الاشتراكية . أشهر مؤلفاته : « الافكار التاريخية لاوغست كونت » و « مثالية افلاطون » و « تدمير الاستاطيق » . (المترجم) .

(٥) أحد نظريي الشعبية ورائد المدرسة الذاتية الروسية في علم الاجتماع (١٨٢٣ ـ ١٩٠٠) . عمل في منظمتي « الارض والارادة » و « الارادة الشعبية » السريتين . كان عضوا في الاممية الاولى التي أسسها ماركس وانجلز . وقد تعرف عليهما عندما عاش في لندن . كتب في مواضيع فلسفية واجتماعية واخلاقية وجمالية . اهتم كثيرا بمسألة طريق تطور الثورة في روسيا . ومع انه اعترف

دار الآداب تقدم

المسرح والمرايا

للشاعر ادونيس

الثمن ٦٠٠ ق.ل صدر حديثا

بان التعاليم الماركسية بخصوص الثورة الاشتراكية قابلة للتطبيق في اوروبا الغربية الا ان الشك ساوره بالنسبة لتطبيقها في روسيا . اشهر مؤلفاته « الرسائل التاريخية » و « هدف ودلالة تبويب العلوم » و « مهمات الوضعية وحلها » و « مراحل هامة في تاريخ الفكر » . (المترجم) .

(٦) عالم اجتماع وكاتب سياسي وايديولوجي الشعبية الليبرالية (١٨٤٢ ـ ١٩٠٤) . كتب في مجلة « كتابات وطنية » ـ وفيما بعد غدا محررا لها . ومنذ عام ١٨٩٢ اصبح احد محرري مجلة « الثورة الروسية » التي شنت حملة عنيفة ضد « الماركسية » . ومع انه اعتبر نفسه احد اتباع تشيرينشفسكي الا انه رجع خطوة الى الوراء في السياسة وبخاصة في الفلسفة . كان وضعيا في الفلسفة ومتاثرا جدا بالربيبة . ومن رايه ان المثقفين يؤدون دورا موجها في التطور الاجتماعي . وانطلاقا من ذلك أعار اهمية بالغة للفرد في التاريخ واعتبره الصانع الرئيسي للتاريخ . نقده لينين وبليخانوف . (المترجم) .

(٧) اتجاه فلسفي ـ ديني ، ظهر في روسيا في بداية القرن العشرين وتجلى في تنظيم اجتماعات دينية واصدار مجلتي « الطريق الجديد » و « مسائل الحياة » . انتشر هذا الاتجاه في وسط المثقفين البرجوازيين وبصورة خاصة بعد فشل الثورة الروسية (١٩٠٥ ـ ١٩٠٧) . قال مؤسسو واتباع هذا الاتجاه بان هدف الحياة يقوم في البحث عن الله وتحقيق مثله في الانسانية . وقد رأوا في الحب والخضوع والصبر طريقا يفضي الى المملكة الالهية . تبنوا اللاعقلانية والصوفية واعتبروا الالهام افضل وسيلة للوصول الى الحقيقة . والجدير بالذكر ان كثيرين من انصار هذا الاتجاه هاجروا الى الخارج بعد حدوث ثورة اكتوبر وناصبوها العداء . (المترجم) .

(٨) بوغدانوف (١٨٧٣ ـ ١٩٢٨) كاتب سياسي وفيلسوف واقتصادي روسي . انضم في عام ١٩٠٣ الى البلاشفة واصبح سنة ١٩٠٥ عضوا في اللجنة المركزية . اشترك في تنظيم مدرسة معادية للبلاشفة . وقد طرد من الحزب عام ١٩٠٩ . كان احد منظمي وزعماء « الثقافة البروليتارية » التي ظهرت الى الوجود في سنة ١٩١٧ . كان في بداية نشاطه الفكري ماديا ، وفيما بعد نصيرا للفيزيائي الفيلسوف النمساوي ماخ . وفي نهاية المطاف استقر في مواقع « المذهب التجريبي الوحداني » . واذ امتهن الطب وعمل مديرا لمعهد نقل الدم ، مات بسبب اجراء عملية على نفسه . قام بنقده كل من بليخانوف ولينين . اشهر مؤلفاته : « العناصر الاساسية في النظرة التاريخية الى الطبيعة » و « المعرفة من وجهة نظر تاريخية » و « حول الثقافة البروليتارية » . (المترجم) .

(٩) اتجاه فلسفي ـ ديني ، برز الى الوجود بعد فشل الثورة الروسية (١٩٠٥ ـ ١٩٠٧) . ابرز مؤسسيه : (لونا شارسكي وبازاروف ويوشكيفتش) . كان الهدف من ظهوره تلاحم الاشتراكية العلمية مع الدين وخلق الحاد ديني بلا اله . اعتبر انصار هذا الاتجاه الماركسية نظاما دينيا . وتجدر الاشارة الى ان هؤلاء الناس كانوا اعضاء في الحزب الديمقراطي ـ الاشتراكي الروسي (الشيوعي) . قام بنقده بليخانوف ولينين . اختفى عند اندلاع الحرب العالمية الاولى . (المترجم) .

(١٠) المرحلية : ايديولوجية برجوازية روسية وحركة سياسية تكونت في فترة تطور الاوضاع الثورية . اصدر مؤسسوها ـ ستروفيه وبردياييف وبولغاكوف ـ كتاب « قضايا المثالية » تضمن افكارا معادية للمادية . وفيما بعد اصدروا كتاب « المراحل » . عارضوا شعار الصراع الطبقي بمبدأ الدفاع عن الفرد بواسطة الانعتاق « الداخلي » « الروحي » . وقد مجدوا السلطة القيصرية لانها تحميهم ، على حد زعمهم ، من حنق الشعب بالسجون والرماح . عادوا ثورة اكتوبر الاشتراكية . (المترجم) .

امام الباب المغلق

ديوان الشعر المنتظر
للشاعرة العربية الكبيرة

فدوى طوقان

المجموعة الشعرية الاخيرة التي وضعتها شاعرة النكبة فدوى طوقان ، وهي تضم طائفة من القصائد الجديدة المستوحاة من مأساة الشاعرة ومأساة كل عربي مزقته كارثة فلسطين .

صوت ندي بالاسى والدمع يجيئنا من الضفة الغربية ، يحدثنا عن آلامنا ونكبتنا أعمق الحديث وأشده حزنا .
اخر ديوان لصاحبة « وحدي مع الايام » و « وجدتها » و « أعطنا حبا » .

الثمن ٢٠٠ ق. ل

صدر حديثا